December 2023
Vol 5 Issue 4

The Authority of Language and its Argumentation in Political Discourse

Dr. Muhamad Buzkari

medbouzekri@yahoo.com

Issn print: 2710-3005. Issn online: 2706 – 8455, Impact Factor: 1.705, Orcid: 000- 0003-4452-9929, DOI 10.5281/zenodo.10577663 ,PP161-178.

Abstract: The political discourse invokes the various means of argumentation to influence and coax the recipient in order to persuade him/her to accomplish an action or take a specific decision in line with the will of the speech producer. Therefore, the weapon of the sender in political discourse is language through which, he/she not only urges, commands, threatens, promises, and warns but also tries to influence and persuade the addressee and direct his/her behaviour. In other words, it is an appropriate tool of controlling, exercising power, and achieving the strategic goals of parties, governments, and the media. Henceforth, it mobilises the masses and public opinion to appeal to them and respond to the content of their political speeches. On this basis, we can talk about the overlap and the dialectical relationship between the authority of language and the power of politics.

Keywords: Authority Of Language, Pilgrims, Political Discourse.

سلطة اللغة وحِجاجيتها في الخطاب السياسي

الملخص: يتوسّل الخطاب السياسي وسائل الحجاج المختلفة للتأثير في المتلقي واستمالته قصد إقناعه بإنجاز فعل ما أو أخذ قرار معين تماشيا مع إرادة منتج الخطاب أو الجهة التي ينتمي إليها، لذلك فسلاح المرسل في الخطاب السياسي هو اللغة، فمن خلالها يحث ويأمر وينهى، ويعد ويتوعد، وعن طريقها يحاول التأثير على المخاطَب وإقناعه وتوجيه سلوكه، وبتعبير آخر هي وسيلة مناسبة للتحكم، وممارسة السلطة، وتحقيق الأهداف الاستراتيجية للأحزاب والحكومات ووسائل الإعلام... وبالتالي

فهي تحشد الجماهير والرأي العام لاستمالتهم والاستجابة لمضامين خطاباتهم السياسية. وعلى هذا الأساس يمكن الحديث عن تداخل سلطة اللغة بسلطة السياسة إلى حد الجدلية.

الكلمات المفتاحية: سلطة اللغة، الحجاج، الخطاب السياسي.

المقدمة

ينطوي الخطاب السياسي دائما على حمولة حجاجية قوية، ويسعى للتأثير في المتلقي واستمالته قصد إقناعه بإنجاز فعل ما أو اتخاذ قرار معين، تماشيا مع إرادة منتج الخطاب أو الجهة التي ينتمي إليها، فهو أحد أشكال تجليات ممارسة السلطة من خلال مضمونه؛ لذلك يستند على استراتيجيات متنوعة للإقناع، وهي الاستراتيجيات التي تبدع في التواصل وفي توظيف اللغة، وفي الاستثمار الأنسب للمتخيل الاجتماعي والثقافي، وفي التلاؤم مع متطلبات السياق وحاجات العموم، وفي تغيير مواقف مجموعة بشرية في وقت معين ...

ويمثل الحجاج أحد الأركان الأساسية في هذا الخطاب بوصفه وسيلة لغوية ومسارا عقليا يمكّن من ممارسة السلطة وتحقيق الوظيفة الإقناعية، ذلك لأن اللغة وأدواتها تتحكم كثيرا في طريقة عرضنا واختيارنا للمعاني التي تخالجنا والتي نرغب في إيصالها إلى الآخرين، ونجعلهم يقبلونها جيدا، وبذلك تترجم هذه الطرائق اللغوية الاستراتيجية العامة للخطاب الحجاجي بوسائل تكتيكية خاصة تستعمل في الضرورة القولية، لتدعيم الحجج المساقة وبناء استدلال قوي يسهم في إقناع المستمع بأطروحة المتكلم وتزكيتها، إما بالاعتقاد أو الفعل أو رد الفعل، ومن ثم تحقيق الفعل الحجاجي إلى واقع ملموس.

-1حول مفهوم الخطاب السياسي :

يشترك الخطاب السياسي مع باقي الخطابات الأخرى في عناصر الخطاب من مرسل ومتلق وسياق..، ويتميز عنها بكونه "أقوى الخطابات تمثيلا للمعطى التداولي البراغماتي" (المسدي، ٢٠٠٧، صفحة ٩٥)، فهو كما يعرفه فليب بروتون" (Philippe Breton) نشاط إنساني يتخذ أوضاعا تواصلية متعددة، ووسائل متنوعة، ويهدف إلى إقناع شخص، أو مستمع، أو جمهور ما، بتبني موقف ما، أو المشاركة في رأي ما .(Breton, 1998, p. 3) "وهو في نظر "ميلود بلقاضي": "نظام من الأفكار التي تشكلت عبر تراكم معرفي نابع من استقراء للواقع بكل مكوناته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، يتمحور موضوعه حول أنساق إيديولوجية مستمدة من نظام سياسي منبثق من واقع سياسي معين، وتكون وراء إنتاجه مؤسسات سياسة نقابية أو حزبية أو حكومية" (بلقاضي، ٢٠١١، صفحة ٤٧). كما

أشار شايم بيرلمان (C.Perlman) ولوسي تيتكا (L.Tytica) إلى أن موضوع الخطاب السياسي، باعتباره خطابا إقناعيا، هو درس تقنيات الخطاب، التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم، بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم.(Perlman & Tytica, 1992)

لقد عرف هذا المصطلح في تحديد مفهومه العديد من الاختلافات البائنة بين الباحثين والدارسين، بين قائل إنه خطاب متميز عن الخطابات الأخرى، له خصائصه ومميزاته الأسلوبية التي تجعل منه فضاء واسعا للحجاج، وممارسة الفعل السياسي، من خلال التلاعب بالكلمات، وبين من يرى أنه خطاب كباقي الخطابات لا يتميز عنها في شيء، إلى درجة اعتبار كل خطاب هو بالضرورة سياسي (التريكي، ٢٠٠٢، صفحة ٤).

ولهذا يعتقد بعض الباحثين أن "الخطاب السياسي ليس كالخطابات الأخرى: الدينية، الثقافية، الروائية...، فلغته لغة تواصلية، ويخلو من اللغة الإبداعية، ولكن لا يعني هذا أن لغته سلسة، ولا تحتاج إلى تأمل أو فك شفرة، بل الخطاب السياسي يتسم بالكثافة الدلالية، والغموض والإبهام... ولعل طبيعة النص السياسي، كطبيعة بعض الخطابات تحتاج إلى فهم وتأويل، كما تحتاج إلى متلق بارع" (برهومة، ٢٠٠٧، صفحة ١٢٤)؛ لأنه، وكما هو معلوم أن الخطاب السياسي يختلف عن الخطابات الأخرى، ليس من حيث البناء اللغوي، أو الأسلوبي، بل من حيث طبيعة لغته التواصلية، التي تبحث عن متلق متمرس حتى يفك شفرتها، ما يعني أن اللغة السياسية رغم أنها تواصلية تعتمد الوضوح والمباشرة للإفهام والإقناع للتأثير في المتلقي، إلا أنها تحتاج إلى تأمل لما يتسم به الخطاب السياسي من الدلالات الموحية واللجوء إلى الغموض باستعماله لاستعارات خاصة، مما يجعله في حاجة إلى التأمل، والفهم والتأويل، وهي خاصية براغماتية يلجأ إليها الخطاب السياسي حتى يكون أكثر تأثيرا في المتلقي.

إن الغموض أو التضمين، ولجوء الخطاب السياسي إلى الأسلوب غير المباشر، يساعد على تحقيق التواصل، من خلال التأثير في المتلقي، لأن الهدف منه هو الإقناع، الذي تساهم في تحقيقه هذه المعاني الضمنية غير المباشرة. فالمتلقي في الخطاب السياسي لا يفهم دائما ما يرمي إليه المرسل، ويبقى ذلك وقفا على السياق الذي ألقي فيه الخطاب، وربما هذه الخصائص هي ما جعل الخطاب السياسي يتميز عن غيره من الخطابات.

الخطاب السياسي إذن، عملية تواصلية، هدفه هو التأثير، وخلق رأي عام وتوجيهه إلى قضية أو قضايا معينة وفق استراتيجية يحدد الفاعل السياسي خطوطها العريضة بحس سياسي. ولعل ما يميز الخطاب السياسي أيضا، أنه خطاب يتعلق مضمونه بقضايا الشعوب والإنسانية جمعاء، ويتأسس على ترسانة

قارة من المفاهيم والاستعمالات الثقافية ذات الانتماء المرجعي المحدد والواضح، ولذلك فهو متعدد ومتباين، لأنه يعكس تفسيرات ووجوه تأويل مختلفة تم إنتاجها في المجتمع تعبر عن مواقف متباينة، مما يجعل الخطاب السياسي خطابا قصديا في محاولته للتأثير في المتلقي، وفي معالجته لأهم قضايا الحياة اليومية، وعرضها في قالب لغوي مثير، يتحول بموجبه الخطاب السياسي إلى منبر لفهم الحياة السياسية، بالنسبة لمختلف الشعوب. كما يراد بالخطاب السياسي في الاستعمال الشائع، السلطة الحاكمة، أي أنه الخطاب الموجه عن قصد إلى متلق مخصوص، قصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب، ويتضمن هذا المضمون أفكارا سياسية، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسيا... والخطاب السياسي يهتم بالأفكار أو المضامين، ولهذا نجد المادة اللفظية قليلة في حين يتسع المعنى الدلالي لتلك الألفاظ، فالمرسل يعتني بالفكرة التي هي مقصده، أكثر من عنايته بالألفاظ. فالفكرة في الخطاب السياسي هي الأساس (عكاشة، ٢٠٠٥، صفحة ٤٦)، والفرق بين الخطاب السياسي وغيره من الخطابات الأخرى، أنه ليس خطابا عفويا أو تلقائيا، يرسله صاحبه على سجيته ليعبر به عن انفعالاته، بل هو خطاب مصنوع أُعِدَّ إعدادا متقنا، ليؤثر في الجمهور ويقنعه، ويمثل نوعا آخر من تسلط السلطة على الجماهير، فرجال السلطة يفرضونه على الجمهور ولا يعترفون بما دونه من الخطابات الأخرى التي تغيبها السلطة وتهدمها، ولا تجوّز مرورها إلى الجماهير التي تعيش أسيرة خطابات السلطة. ومن ثم، فالخطاب السياسي السلطوي يعد أكثر تعقيدا في مضمونه، وقد يكون خداعا ومراوغا، لسكوته عن أشياء وتجاهله لها، رغم صدقها، وينطق بأشياء، ويفسح لها مجال الانتشار، رغم هشاشتها وبعدها عن الحقيقة. وقد يسكت عن الحقيقة، لأن ذكرها ضد مصالحه وأهدافه (عكاشة، ٢٠٠٥، صفحة ٥٤)، كما أنه نص ذو سمات مركبة من الإيحاءات المعنوية، لها أبعادها، ولها مميزاتها التي تفارقه عن غيره من الخطابات داخل اللغة الواحدة.

من خلال استعراضنا لبعض المفاهيم المتعلقة بالخطاب السياسي، وإبراز ما يميزه عن باقي الخطابات، يمكن أن نؤكد على الطابع الحجاجي للخطاب السياسي، من حيث اعتماده فن الإقناع والاستمالة، لأنه يتعامل مع العقل والعاطفة معا.

لذلك يجوز لنا أن نشير إلى أن الخطاب السياسي متعدد الأصوات والمستويات، تتداخل فيه مجموعة من الذوات الفاعلة، قصد خلق جو من التأثير والتأثر، حيث لا يمكن لهذا التأثير أن يتحقق إلا إذا كانت هناك مواضعة بين هذه الذوات المختلفة في مقامات متنوعة، وإعلان عن وجودها داخل الخطاب،

من خلال بعض التعابير والصيغ الأسلوبية، التي يلجأ إليها المرسل خاصة، وهو ما يجعل منه خطابا معقد البنية، عميق الأثر في المتلقين، بتبنيه استراتيجية هادفة إلى درجة الإقناع.

حجاجية اللغة في الخطاب السياسي :

تعد اللغة- في جانب منها- نظاما رمزيا اجتماعيا يمكن الإنسان من تبادل المعارف والتجارب من خلال العمليات التواصلية، لتشكل أداة خصبة يعتمد عليها المخاطِب في إنتاج خطابه، إذ لا يستغني عنها بالنظر إلى ما توفره من إمكانيات تعبيرية خلاقة، وهي الحقيقة التي تجسد العلاقة القوية بين اللغة والخطاب.

إن الحديث عن الخطاب يقتضي الحديث عن اللغة، بكونها تعمل على تحقيق التفاعل بين أطراف العملية التخاطبية من خلال المعاني التي تحملها والمشتركة بين أطراف العملية التواصلية، وهي معان يؤطرها السياق العام الذي يسهم في تحقيق عمليات تأويلية صحيحة. إنها حقيقة تتطلب من محلل الخطاب أن يبحث فيما يلي :

- البحث في هوية أطراف التواصل التخاطبي.
- البحث في العلاقة بين أطراف الخطاب.
- البحث في المعارف المشتركة بين أطراف الخطاب.
- البحث في الافتراضات المسبقة لكل منهما عن الآخر ودورها في بناء الخطاب.

إن البحث في هذه المعطيات، وخاصة في الهوية، يمكن أن ينطلق من اللغة التي تحمل جزءا مهما من هوية كل شخص، مما يبين على قدرتها المستمرة في بناء العالم وإعادة بنائه، ولا يتحقق ذلك فقط، من خلال اللغة في مستواها المعجمي، بل يتحقق أيضا، عبر اللغة المستعملة في الخطاب إلى جانب الإجراءات اليومية والأنساق غير اللغوية والأدوات والتقنيات وطرق التفكير، وتقييم الشعور والاعتقاد.

إن اللغة والخطاب في تفاعل دائم، إذ يحقق الخطاب الفضاء الذي تتفاعل فيه اللغة من خلال عدد من الجمل، لتعمل على تأسيس معرفة توجه إلى الناس ومشاركتهم فيها، والعمل على نقل أفكار تخص المخاطب بهدف إقناعهم منطقيا، وجذب قلوبهم إليها. ولا يتحقق كل ذلك، إلا من خلال تفاعل عدد من الجوانب المرتبطة بالمخاطب، وهي الجوانب الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية والايديولوجية، حيث يعمل على تشكيل الخطاب وفق غاياته.

السلم الحجاجي أو حجاجية الترتيب:

يقصد بالسلم الحجاجي العلاقة الترتيبية للحجج؛ إذ ترد الحجج مبنية في الكلام إما من الأقوى إلى الأضعف، أو العكس، تبعا لمقاصد المتكلم، والاستراتيجية المتبعة في بلوغ الإقناع.

وقد عرّفه طه عبد الرحمن (عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ٢٠١٠، صفحة ١٠٥) بأنه "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشرطين التاليين:

-كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

-كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى.

فإذا أخذنا الأقوال التالية:

-حصل زيد على الإجازة

-حصل زيد على الماستر

-حصل زيد على الدكتوراه

فهذه الجمل تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، وتنتمي إلى السلم الحجاجي نفسه، فهي كلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل كفاءة زيد العلمية، ولكن القول الأخير "حصل زيد على الدكتوراه" هو الذي يرِد في أعلى درجات السلم الحجاجي، وهو أقوى دليل على مقدرة زيد العلمية، ويمكن الترميز لهذا السلم كما يلي:

ن= الكفاءة العلمية

- د = حصل زيد على الدكتوراه
- ج = حصل زيد على الماستر
- ب = حصل زيد على الإجازة

حيث إن (ب) و(ج) و(د) ترمز إلى الحجج والأدلة التي تخدم النتيجة (ن) أي الكفاءة العلمية لزيد.

إن القول (د) يلزم عنه القول (ج) الذي يلزم عنه بدوره القول (ب) كما أن (د) هو أقوى إثباتا للمدلول(ن) من (ج) الذي هو بدوره أقوى إثباتا لهذا المدلول من (ب) (عبد الرحمن، ٢٠٠٦، صفحة ٢٧٧).

إن السلم الحجاجي يقوم على أساس علاقة تراتبية بين الحجج المنتمية إلى نفس الفئة الحجاجية، فهو فئة حجاجية موجهة، وهذا ما نجده في السلم الحجاجي أعلاه، حيث تنتظم الأقوال المستعملة في الخطاب لخدمة النتيجة (ن) وفق علاقة تراتبية من جهة التدرج في القوة الحجاجية. وهكذا، فالترتيب كما عرّفه هنريش بليث "فن التنظيم الفعال للمواد (الحجج) في مجموع الخطاب" (بليث، ١٩٩٩، صفحة ٤٤). لذلك، فإن على المتكلم إذا ما تمكن من الحصول على الحجج والأساليب التي ستسعفه في الدفاع عن دعواه من التفكير في ترتيب تلك الحجج، ووضع كل واحدة في المكان المناسب لها، فيزيده ذلك قوة وسلطة ويمكّن لها في ذهن المخاطَب، لأن الحجة "لا يمكن أن تكون فعالة لمجرد أنها حجة جيدة، بل ينبغي بالضرورة لكي تكون فعالة حقا أن تصاغ الصياغة المناسبة، وفي هذه الحالة تتدخل كل الأمور المتعلقة بالترتيب، وكل خلل في الترتيب يسلب الحجة قوتها مهما كانت بالغة" (الولي، ٢٠٠٥، صفحة ٥٧).

العوامل والروابط الحجاجية:

أولى ديكرو الروابط والعوامل الحجاجية عناية خاصة، نظرا لدورها الفعال في تحقيق انسجام الخطاب، وتتمركز هذه الروابط والعوامل في أبنية اللغة، حيث إن المتكلم حين يوجه ملفوظه توجيها حجاجيا، فإنه يفعل ذلك عبر وسم هذا الملفوظ الحجاجي وسما حجاجيا. ويكون هذا الوسم الحجاجي بتضمين الملفوظ مجموعة من العلامات والإشارات التي تحدد كيف ينبغي تأويله، وأي معنى يجب إسناده إليه. وتعتبر العوامل والروابط من ضمن أهم المواضع التي ينعكس فيها هذا التوجيه الحجاجي، بل سائر المظاهر الحجاجية الأخرى ترِد في الغالب متفاعلة مع الروابط والعوامل. فما المقصود بالعوامل والروابط الحجاجية؟ وكيف تسهم في التلوين الحجاجي للخطاب السياسي؟

العوامل الحجاجية:

العوامل الحجاجية هي مورفيمات إذا وجدت في ملفوظ تحول وتوجه الإمكانات الحجاجية لهذا الملفوظ. (Moeschler, 1985, p. 62)

فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلا... وجل أدوات القصر.

ولنوضح أكثر مفهوم العامل الحجاجي ندرس المثالين الآتيين:

- الساعة تشير إلى الثامنة.

- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر "لا...إلا..." وهي عامل حجاجي، لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين في القيمة الإخبارية، ولكن الذي تأثر هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكانات الحجاجية التي يتيحها، فإذا أخذنا القولين الآتيين:

- الساعة تشير إلى الثامنة، أسرِع.

- لا تشير الساعة إلاّ إلى الثامنة، لا تسرع. (الراضي، ٢٠١١، صفحة ٢٣٤.(

فسنلاحظ أن القول الأول سليم، وله إمكانات حجاجية كثيرة، كالدعوة إلى الإسراع، التأخر والاستبطاء، هناك متسع من الوقت، موعد الأخبار، وبالتالي، فهو يخدم نتيجة من قبيل (أسرع)، كما يخدم النتيجة المضادة لها (لا تسرع). لكن عندما أدخلنا عليه العامل الحجاجي "لا...إلا..."، فقد تقلصت إمكاناته الحجاجية وأصبح الاستنتاج الممكن هو:

- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع.

ونتيجة لذلك، فإذا كان المتكلم يحاول أن يوجه ملفوظه توجيها حجاجيا معينا فإنه يفعل ذلك "عبر وسم هذا الملفوظ وسماً حجاجيا، ويجري هذا الوسم الحجاجي بتضمين الملفوظ مجموعة من العلاقات والإشارات التي تحدد كيف ينبغي تأويله، وأي معنى يجب إسناده إليه، وتعتبر العوامل والروابط الحجاجية أهم موضع ينعكس فيه هذا التوجه الحجاجي" (الراضي، ٢٠١١، صفحة ٢٣٤.(

ويعتبر أسلوب القصر ضربا من التوكيد يُعتمد عليه في توجيه الخطابات توجيها إثباتيا وتوكيدا مضاعفا، ويعني الحبس لغة، وفي الاصطلاح: إثبات الحكم في الكلام المذكور ونفيه عما عداه (المراغي، د.ت، صفحة ١٣٦).

وللقصر "طرق أربعة: أحدها طريق العطف، كما تقول في قصر الموصوف على الصفة، إفرادا أو قلبا بحسب مقام السامع: زيد شاعر لا منجم، وما زيد منجم بل شاعر... وثانيها النفي والاستثناء، كما تقول في قصر الموصوف على الصفة إفرادا أو قلبا: ليس زيد إلا شاعرا، أو ما زيد إلا شاعر... وفي قصر الصفة على الموصوف إفرادا: ما شاعر إلا زيد، أو ما جاء إلا زيد، لمن يرى الشعر لزيد ولعمرو أو المجيء لهما... وثالثها استعمال "إنما" كما تقول في قصر الموصوف على الصفة قصر إفراد: إنما زيد جاء، إنما زيد يجيء لمن يردده بين المجيء والذهاب من غير ترجيح لأحدهما... ويرى السكاكي "أن كلمة "إنّ" لما كانت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها "ما" المؤكدة لا النافية، على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو، ضاعف تأكيدها فناسب أن يضمن معنى القصر" (السكاكي، ١٩٨١، صفحة ٤٠٣). ورابعها التقديم كما تقول في قصر الموصوف على الصفة "تميمي أنا"، قصر إفراد، لمن يرددك بين قيس وتميم، أو قصر قلب لمن ينفيك عن تميم ويلحقك بقيس" (السكاكي، ١٩٨١، الصفحات ٤٠٣-٤٠٤).

ويتحقق هذا الأسلوب في الخطاب عن طريق استعمال عوامل حجاجية متعددة من قبيل: "ليس...سوى"، "ما...غير"، "ما...إلا"، "لا...إنما" و"لا...سوى."

الروابط الحجاجية:

لا يكاد يخلو خطاب لغوي من الروابط الحجاجية، فهي سر ضمان الاتساق والتماسك، والتعالق "ولما كانت للغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية، وبواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، فاللغة العربية مثلا تشتمل على عدد كبير من الروابط الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية. نذكر من هذه الأدوات: لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك... (العزاوي، ٢٠٠٦، صفحة ٢٦).

هذا ما ركز عليه أزفالد ديكرو(Oswald Ducrot)، في كتابه "السلالم الحجاجية Les Échelles) " (Argumentatives، وذلك من خلال مراعاته لعمليات تكوين وبناء الخطاب من دلالة وتركيب، زيادة على البعد التداولي للملفوظ الكائن في اللغة نفسها. وبذلك "يمكن تصور الربط في ثلاثة أنواع: ربط نحوي تركيبي وربط دلالي وربط تداولي. أما الأول، فيتم فيه ربط موضوعات مثل الفاعل والمفعول إلى محمولاتها وتسمى في النحو العلائقي بالحدود، ويدخل في مجال هذه الروابط النحوية الإعراب المعمول فيه، والتطابق بين المحمول والموضوع، وكذلك الرتبة المحفوظة في البنية الشجرية في التحليل اللساني؛ أما الثاني، فيتم فيه ربط الموضوعات إلى الفعل بواسطة الحرف بموجب دلالته

الخاصة؛ والثالث، يركز على العلاقة التي تربط الكل الدلالي التركيبي من جهة، ومتداول اللغة من جهة ثانية (الرقبي، ٢٠١١، صفحة ١٠١). ولعل هذه الروابط الحجاجية من أكثر الدلائل التي تؤكد أن الحجاج في صميم اللغة، وليس بخارج عنها، وهي ما يتحكم في اتساق النص حتى يتجاوز طرق الإخبار والتبليغ، إلى التأثير والإقناع. كما أن الربط الحجاجي اللغوي بين العناصر الدلالية في الخطاب يتم عبر استخدام وسائل لغوية كثيرة لعل أهمها توظيف أقسام الكلام (الحروف والأسماء)، واستخدام التكرار بنوعيه اللفظي والمعنوي... ويمكن التمثيل للروابط الحجاجية بما يلي :

الرابط الحجاجي "لكن:"

تدخل "لكن" ضمن الروابط اللغوية التي تحقق للنص اتساقه وتماسكه الداخلي، فوظيفتها ربط السابق باللاحق شأنها في ذلك شأن كل الروابط اللغوية الأخرى، لكنها تتميز عنها بأنها تحتفظ بطبيعة خاصة؛ فهي تربط بين الجزأين على سبيل الاستدراك، أي أنها "تثبت لما بعدها حكما مخالفا لما قبلها، ولذلك لا بد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها أو ضد له" (الفيروزآبادي، ١٩٩٧، الصفحات ١٦١٧-١٦١٨).

واستنادا إلى ذلك، فوظيفة الربط هذه ليست تركيبية فحسب، بمعنى أنها لا تكتفي فقط بالربط بين الأجزاء اللغوية للنص، بل إنها وظيفة متصلة بشكل مباشر بدلالة النص وما يريد الباث تبليغه أو قوله ومتصلة أيضا بالوظيفة التأثيرية للخطاب.

الرابط الحجاجي "بل:"

إن الأداتين "بل" و"لكن" تستعملان للحجاج والإبطال، فالأداة "بل" تكمن حجاجيتها في أن المرسِل يجعل الحجج مرتبة في سلم حجاجي متفاوت الدرجات، والمشهور أن الأداة "بل" هي حرف إضراب، ولها موضعان:

- إذا تقدمها أمر أو إثبات يكون ما قبلها كالمسكوت عنه وإثبات الحكم لما بعدها، نحو "قام زيد بل عمرو."
- إذا تقدمها نفي أو نهي فهي تقرر ما قبلها، وإثبات ضد ما قبلها لما بعدها، نحو "ما قام زيد بل عمرو."

القياس والرابط الحجاجي "إذن "

القياس نشاط عقلي يندرج ضمن ما يسمى "المنطق الأرسطي(Bellenger, 1996, p. 4) "، ويتجه العقل خلاله من العام في اتجاه الخاص، ويتحدد هذا الخاص باعتباره استنتاجا أو نتيجة تم التوصل إليها استنادا إلى مقدمتين عامتين، والعلاقة بين العام والخاص في القياس تدخل في إطار الزوج السبب/ النتيجة:

- كل إنسان فان
- سقراط إنسان
- إذن سقراط فان

فالملاحظ أن سقراط سيموت لأنه إنسان ولأن كل إنسان فان، ويمكن أن نقول استنادا إلى مقولتي السبب والنتيجة إن سقراط سيموت بسبب أنه إنسان وبسبب أن كل إنسان فان. إن هذا النوع من القياس يحتفظ بثلاثة مواقع أساسية: مقدمتان عامتان ونتيجة. ولإبراز ذلك نتأمل الصيغ الواردة في خطاب رئيس الحكومة المغربية أثناء عرضه للبرنامج الحكومي في البرلمان المغربي (يناير٢٠١٢)، والذي جاء فيه ما يلي:

" -إن الحكومة إذ تعتبر أن تنزيل ذلك يتطلب سياسة عمومية مندمجة... فإنها ستعمل على ترسيخ الحريات والحقوق والواجبات والمواطنة المسؤولة، خاصة ما يهم تدعيم المساواة بين الجنسين والسعي إلى تحقيق مبدأ المناصفة وإرساء هيئة خاصة بها، ومكافحة كل أشكال التمييز."

" -وتسعى الحكومة إذن، من خلال هذا المخطط إلى الرفع من وتيرة الإنتاج التشريعي وجودة النصوص القانونية وتحديث المنظومة القانونية لبلادنا باعتبارها إحدى الدعامات الأساسية لتعزيز وضمان الحقوق والحريات ولتحسين تنافسية وجاذبية الاقتصاد الوطني ."

" -لذلك، اسمحوا لي أن أتوجه عبر أعضاء مجلسكم الموقر إلى المواطنات والمواطنين بالقول إن الحكومة مصممة وتسعى بكل ما أوتيت من عزم وقوة على محاربة الرشوة والفساد ."

" -ولذلك فهو تعاقد سياسي وأخلاقي متجدد يقوم على مواصلة الوفاء بالتزاماته، وتنفيذ تعهداته مسنودا بمشاركة وثقة الناخبات والناخبين، وقائم على ربط المسؤولية بالمحاسبة، وبالتالي سننكب على تنفيذه بعون الله تحت مراقبة البرلمان ."

تعكس "إذن" (أو ما يقوم مقامها) في هذه الخطابات طريقة العقل في ترتيب أفكاره وتنظيمها، إنها تقوم بذلك من خلال ربطها بين السابق واللاحق ربطا منطقيا قائما على الاقتضاء، فكل شيء في هذه الجمل متعلق بشيء آخر قبله، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني؛ أي إن وجود الثاني موقوف على وجود الأول ومرهون به، ويمكن التمييز داخل هذا الاقتضاء بين مظهرين اثنين:

- اقتضاء يقوم على الشرط ويعتمد على الزوج "إذا... فإن" أو ما يقوم مقامه، وحد الشرط أنه "تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني...، وكل حكم متعلق بأمر يقع لوقوعه وذلك الأمر كالعلامة له" (المناوي، د.ت، صفحة ٤٢٧).

- واقتضاء يقوم على الاستنباط: وتبدو "إذن" أحد أهم وجوهه، وتصنف "إذن" باعتبار وظيفتها التركيبية، رابطا يجمع عناصر النص، وباعتبار وظيفتها الدلالية، مقولة من مقولات "المنطق الأرسطي" وظيفتها إلحاق النتيجة بالسبب، ويندرج ضمن هذا الصنف من المقولات مجموعة من الروابط المنطقية التي تجعل النتائج مرتبطة ارتباطا منطقيا بمقدماتها، وهكذا يمكن إدراج: ولهذا، وهكذا، وأيضا، وبالتالي، ولذلك...

وقد يأخذ هذا العام شكلا أكثر اتساعا عندما يتجاوز حدود الجملة ليستوعب مجموعة من النصوص السابقة تبنى على أساسها نتيجة أو مجموعة من النتائج .

إن ما يجعل من المقدمة العامة تأخذ هذا الشكل الممتد هو طبيعة بناء البرنامج الحكومي، فهو يقوم على عنصرين أساسيين أحدهما يعرض فيه رئيس الحكومة تشخيصا للوضع القائم (وهو ما يشكل مقدمة عامة)، وأما الآخر فيخصص لعرض البدائل والحلول للأزمات التي تم تشخيصها على شكل وصفات قادرة على تجاوز الكائن وبناء الممكن (وهو ما يشكل النتيجة).

وتبقى الغاية من الاستعانة بالمنطق هي وضع المتلقي أمام خطاب يغادر طبيعته الاجتماعية الإيديولوجية ليقترب من الخطاب العلمي، أو بمعنى آخر، إنه يتحول من خطاب رأي إلى خطاب منطقي، وهذا التحول يضع المتلقي في حالة اطمئنان وثقة فيما يقوله السياسي .

المواضع الحجاجية:

يرى ديكرو أن "وجود الروابط والعوامل الحجاجية لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا يكفي أيضا لقيام العلاقة الحجاجية" (العزاوي، ٢٠٠٦، صفحة ٣٧)، بل لا بد من وجود سند أو ضامن حتى تتم عملية الربط بين الحجة والنتيجة، اختار لتسميته مفهوما أرسطيا شهيرا هو مفهوم الموضع،

الأمر الذي يعني أن كل علاقة حجاجية تتطلب وجود موضع بين الحجة والنتيجة أي مسارا مبررا يعتمد في الانتقال الحجاجي.

وتؤدي هذه المواضع دورا مهما في الحجاج، بل هي "عماد الحجاج والخلفية التي ينبني عليها النشاط الحجاجي" (عبد اللطيف، ٢٠١٣، صفحة ٩٩). وتأتي أهميتها هذه من أنها تشكل محل اتفاق بين جميع الناس، فهي عبارة عن "قواعد عامة مقبولة جماعيا" (عبد اللطيف، ٢٠١٣، صفحة ٩٩) يتم الاستناد إليها في الحركية الحجاجية التي تتم بين المقدمات والنتائج، ولتوضيح ذلك نقدم المثال التالي:

- **هذا الكتاب مفيد، إذن اشتره.**

حيث يحتوي هذا المثال على حجة (هذا الكتاب مفيد) ونتيجة (اشتره) ورابط مدرج للنتائج (إذن). لكن الانتقال من الحجة إلى النتيجة لم يتحقق إلا بالاستناد إلى موضع عام ومشترك بين جميع الناس ويحظى بقبولهم جميعا وهو "ما كان مفيدا يستحق الشراء."

ويمكن التمثيل لهذه الحركية الحجاجية كما يلي:

ج: هذا كتاب مفيد

موضع: ما كان مفيدا يستحق الشراء

إن الترابط الحجاجي بين الحجج والنتائج أصبح العامل فيه "هو الموضع الذي يرد في صورة مبدأ عام يصل ملفوظا بآخر ويحقق تلك العلاقات التركيبية... بحيث تكون دلالة الجملة في آخر المطاف هي رزمة من المواضع التي تستدعيها هذه الجمل" (الراضي، ٢٠١١، صفحة ٢٠٢).

الخطاب السياسي وعلاقته بالسلطة :

يرتبط الخطاب السياسي بالسلطة ارتباطا وثيقا على نحو يجعل من هذا الخطاب نفسه سلطة ما ينفك المرسل من ضبطها للتحكم في سلوك وأفكار الجمهور المخاطب، وتجدر الإشارة إلى أن السلطة في الخطاب السياسي لا تعني القوة باعتبارها ممارسة أساليب الإكراه المادي، بكل أشكاله المطلقة لفرض أمر الواقع؛ وإنما هي ممارسة للقوة بطريقة مشروعة يقبلها القانون.

يشير ميشيل فوكو (M. Foucault) في تحديده لمفهوم السلطة التي يعبر عنها الخطاب أو يجسدها، إلى أنها عبارة عن علاقة قوى، مبنية أصلا على اللاتوازن، وهو ما يجعل طرفا ما يمارس نوعا من

التحكم والسيطرة على الآخر. وإذا أردنا أن نربط المفهوم الواسع للسلطة عند "فوكو" بموضوع هذا البحث، فإنه يمكن القول إن الخطاب السياسي هو أحد أشكال تجليات ممارسة السلطة من خلال مضمونه؛ إذ الخطاب ينقل السلطة، ينتجها، يقويها، لكنه أيضا يلغمها، ويجعلها هزيلة، كما يسمح بإلغائها، هذه السلطة مبنية على الصراع الدائم، وتسفر عن انتصارات وقد تسفر عن هزائم .

خاصة وأن الخطاب السياسي اليوم يعد من أهم الخطابات المعاصرة، وأكثرها تأثيرا في المتلقي، وانتشارا بين الأوساط الشعبية ومختلف شرائح المجتمع، لأنه يعالج أهم المشاكل والقضايا، على المستوى الداخلي والخارجي، التي يتطلع كل فرد إلى معالجتها، وإيجاد حلول لها، ومما أكسبه هذا النفوذ والسلطة، من حيث التأثير والانتشار في أوساط المجتمع، ما يتمتع به من سلطة مستمدة من الجهة الصادر عنها، فهو خطاب يهتم بأهم القضايا التي تساهم في صنع القرارات الفاعلة في المجتمع، وهو ما يبرر ارتباطه الكلي بالظروف والأحداث السائدة على مستوى الواقع.

فهو خطاب مضموني عن جدارة وتميز، نظرا لارتباطه بالسياسة التي تشحنه بأهم المضامين والأفكار والقضايا المصيرية، ولأجل ذلك يعمد الخطاب السياسي إلى الأسلوب المباشر والبسيط، حتى يصل إلى أكبر قدر من الجمهور والإقناع والتأثير، كما أنه خطاب قصدي، يحمل نواياه بين سطوره، ومضامينه وأساليبه، التي لا يمكن أن نصفها بالعفوية أبدا، لأن الخطاب السياسي ينظر للأمور بعين السلطة، ويعالج القضايا ويطرحها من وجهة نظر السلطة، وعليه فمصداقية هذا الخطاب رهينة بما تفرضه السلطة، فالصواب أو الحقيقة، في هذا الخطاب تحددها السلطة (عكاشة، ٢٠٠٥، صفحة ٣٤٨)، لذلك يعمد الخطاب السياسي إلى البساطة والاختصار في معالجة القضايا والأفكار المطروحة، باستخدامه لمصطلحات وألفاظ هي سهام موجهة، ونافذة في جعبة السياسي، وخير دليل على قوة هذه النقطة وفعاليتها في الخطاب السياسي، الخطاب الذي قدمه باراك أوباما في المؤتمر القومي للحزب الديموقراطي، فقد أدهش خطابه -الذي لم يتجاوز عشرين دقيقة ولم تتعد كلماته ٢٣٠٠ كلمة- الشعب الأمريكي وحظي بالمديح والثناء في جميع أنحاء العالم. لقد نجح في توصيل رؤيته إلى كل مواطن أمريكي، وعلى الفور لقبته وسائل الإعلام ب "النجم الصاعد" كما عجلت مهاراته الخطابية النشطة إلى حد كبير بالتقدم في مسار حياته المهنية وحولته بين عشية وضحاها إلى شخصية سياسية قومية بارزة... (لين، ٢٠٠٩، صفحة ١)، فكلما كانت المصطلحات بسيطة مختصرة، يزيد تأثيرها وانتشارها... فالشعارات مثلا تعد من أسهل العبارات حفظا وأعمقها أثرا في نفس المتلقي" (برهومة، ٢٠٠٧، صفحة ١٣٤)، لذلك فالخطاب السياسي من أقوى الخطابات، وأشدها وقعا على المتلقي.

ما يميز الخطاب السياسي كذلك، أنه خطاب جماهيري، حيث يتعدد المتلقي لهذا الخطاب ويختلف حسب المقامات والمواقف التي تصنعه، من متلق مباشر وغير مباشر، ومتلق مقصود من الخطابات إلى مسترق السمع، إلى المتلقي الداخلي إذا تعلق الأمر بموضوع داخل المجتمع، ومتلقّ خارجي إذا تعلق الأمر بقضايا دولية (عكاشة، ٢٠٠٥، صفحة ٣٤٨)، وهذا لا يحدث في غيره من الخطابات الأخرى، كما يبنى الخطاب السياسي على مواقف الصراع، والأزمات والخلافات والظروف المحيطة بالمجتمع السياسي، فالموقف هو الذي يتسبب في صنع الخطاب وليس الخطاب هو الذي يخلق الموقف (عكاشة، ٢٠٠٥، صفحة ٣٤٧). كما يعتمد الخطاب السياسي على توظيف لغة الحياة اليومية، لما تحمله من إيحائية، وأبعاد براغماتية للتفاعل مع ما يعيشه الفرد في المجتمع، بتوظيفه للغة اجتماعية معاصرة متداولة، في محاولة منه للاقتراب أكثر من الأحداث التي تحكم هذا المجتمع داخليا وخارجيا، مما يجعله أكثر واقعية لاقترابه من الواقع اليومي، فالرسالة التي يحملها الخطاب لا يتم تبليغها إلا من خلال تخصيصها، واستخدام الكلمات التي لها وقع مؤثر، أي استخدام الخطيب لعدد من الأساليب بغرض تبليغ رسالته. من هذه الأساليب استخدامه للغة متعارف عليها، وللكلمات المجازية ذات الصور البلاغية، بحيث ترسم كلماته صورا في أذهان المستمع، وتؤثر في عملية التواصل وتساعد الخطيب على تبليغ رؤيته وأفكاره تبليغا رائعا (لين، ٢٠٠٩، الصفحات ٣٠-٣١). وفي سياق آخر، نجد الخطاب السياسي يلجأ إلى إبراز الذات المتكلمة، بصورة موضوعية، يغلب عليها طابع الجماعية، حيث تحاول هذه الذات خلق أرضية مشتركة بينها وبين المتلقي، وهذا ما يجعل الخطاب السياسي يكثر من مصطلحات بعينها مثل: الشعب، والأمة، والمصير المشترك...، ويوظف ضمير المتكلم الجمع (نحن).

وعلى هذا الأساس، فالسلطة في الخطاب السياسي تستمد مشروعيتها من علاقة الفاعل السياسي بمتلقيه، إذ يحاول السياسي أن يستثمر كفاءته التواصلية التي تنزاح فيها اللغة عن طابعها العادي وتعبيرها الرمزي، لتعبّر وتغيّر وتطور، وتعمل على حفظ الوضع الراهن، فتكون سلاحا للسيطرة على الأفكار والسلوكات.

لذلك، فسلاح المرسل في الخطاب السياسي هو اللغة، فمن خلالها يحث ويأمر وينهى، ويعد ويتوعد، وعن طريقها يحاول التأثير على المخاطَب وإقناعه وتوجيه سلوكه، وبتعبير آخر هي وسيلة مؤثرة لتحقيق غايات ومقاصد نبيلة أو شريرة، ووسيلة مناسبة للتحكم، وتحقيق الأهداف الاستراتيجية للأحزاب والحكومات ووسائل الإعلام.

وبالتالي، فهي تحشد الجماهير والرأي العام لاستمالتهم والاستجابة لمضامين خطاباتهم السياسية. ولما كانت "السياسة" لعبة الكلمات، فالسياسيون يتقلدون السلطة من خلال تلاعبهم بالكلمات ودرجة الإقناع عندهم، ومدى تحقيق أهدافهم وتعزيز مكانتهم والاستيلاء على الرأي العام؛ ذلك لأنهم يوظفون بذكاء أو بدهاء الرموز اللفظية في لغتهم السياسية، وهي ليست سياسية بألفاظها، بل المعلومات التي تنقلها، وبالمحيط الذي يحدث فيه الاتصال، فالمسؤول السياسي يصدر خطابه بكلمات وضمن معلومات ليصل بها مع الآخر ويقنع بها الآخر، فيحتاج إلى تلاعب بالكلمات."

والأكيد أن السلطة اللغوية في الخطاب السياسي تؤسس وتشكل السلطة السياسية، وعلى هذا الأساس يمكن الحديث عن تداخل سلطة اللغة بسلطة السياسة إلى حد الجدلية.

خاتمة :

نخلص في نهاية هذا البحث، إلى أن الخطاب السياسي لا يمكن اعتباره تجسيدا للتواصل بما يستلزمه حرفيا من تبادل الحوار، والتناوب على فعلي البث والتلقي، بل إن الأمر يتعلق بخطاب عمودي يسعى إلى الهيمنة والإراغة عن طريق مجموعة من العلامات التي تنطوي على استراتيجيات تواصلية مبنية أساسا على التضمين والغموض والمناورة والتضليل والخداع والتحايل...، للإيقاع بالمرسَل إليه ودفعه للقيام بفعل دون أن يشعر بذلك.

كما أنه من المستحيل تخيل سلطة اللغة دون اعتمادها على المبادئ التي تؤسس السياسة، وهذا معناه أن الخطاب السياسي يرتكز على الوظيفة التعبيرية والتأثيرية-عن طريق اللغة- لممارسة السلطة أو لإخفائها في حالات نادرة .

ولهذا، فالسلطة في الخطاب السياسي ليست طاقة غامضة أو مخبأة في شخص ما أو شيء ما، بل إنها تفاعل بين الذين يمارسونها والذين تمارس عليهم، إذ إن السلطة ليست شيئا، وإنما علاقة بين أولئك الذين يتولونها ومجموع البيئة الاجتماعية التي تمارس فيها، كما أن السلطة في الخطاب السياسي تحمل بعدين: بعد سياسي وآخر لغوي، فبواسطة اللغة يحاول المرسل السياسي ممارسة تأثيره على متلقي خطابه، وهو واع بسلطة لغته.

References

- Bellenger, L. (1996). L'argumentation, this technique to convaincre. Paris: ed ESF.
- Breton, P. (1998). L'argumentation Dans la communication. Editions du Casbah, Algeria.
- Jacques Moeschler (1985). Argumentation and conversation elements for a pragmatic analysis of discours. Paris.
- Perlman, C., & Tytica, L. (1992). The method of argumentation in the new rhétorique. Editions from the University of Bruxelles.
- Abu Bakr Al-Azzawi. (2006). Language and pilgrims. Casablanca: Al-Omda in print.
- Abu Yacoub Al-Sakaki. (1981). Key to Science (1st edition). Baghdad, Iraq: Dar Al-Resala.
- Ahmed Mustafa Al-Maraghi. (d.t.). Sciences of Rhetoric, Al-Bayan Al-Ma'ani and Al-Badi'. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Fayrouzabadi. (1997). Ocean Dictionary (2nd ed.). Arab Heritage Revival House.
- Rashid Al Radi. (2011). Linguistic arguments according to Anscomber and Decroux. World of Thought Magazine, Issue 34.
- Radwan Al-Raqbi. (2011). Pragmatic reasoning and its working mechanisms. World of Thought Magazine, Issue 40.
- Shel Lin. (2009). Say It Like Obama, The Power of Speaking with Purpose and Vision (1st ed.). Saudi Arabia: Jarir Bookstore.
- Taha Abdel Rahman. (2006). White House. Arab Cultural Center.
- Taha Abdel Rahman. (2010). On the origins of dialogue and the renewal of the science of theology (1st edition). Casablanca, Morocco: Arab Cultural Center.
- Adel Abdel Latif. (2013). The Rhetoric of Persuasion in Debate (1st ed.). Beirut: Defaf Publications.
- Abdul Salam Al-Masadi. (2007). Politics and the power of language (1st ed.). Cairo: Egyptian Lebanese House.
- Issa Odeh Barhouma. (2007). Representations of language in political discourse. Alam Al-Fikr Magazine, Issue 36.
- Muhammad Al-Wali. (2005). Metaphor in Greek, Arabic, and Western stations (1st ed.). Rabat: Dar Al-Aman.
- Muhammad Abdel Raouf Al-Manawi. (d.t.). Understanding Definitions Skills (1st ed.). Beirut: House of Contemporary Thought.

- Mahmoud Okasha. (2005). The language of political discourse, an applied linguistic study in light of communication theory (1st ed.).
- Mounir Triki. (2002). Mechanisms for analyzing political discourse. Tunisian cultural life.
- Miloud Belkadi. (2011). Political discourse between the discourse of authority and the authority of discourse (1st ed.). Rabat: Dar Al Salam for Printing, Publishing and Distribution.
- Heinrich Blyth. (1999). Rhetoric and stylistics. (Translated by Muhammad Al-Omari) Casablanca: East Africa.